خدع المستعمرين :

(مقدمة إلى المجاهدين من شمال أفريقية)

بتاريخ ٥ مايو سنة ١٨٦٥ أرسل نابليون الثالث ملك فرنسة إلى مسلمي الجزائر بعهد ننشره تبياناً لمقدمات الاستعمار ، وخدع المستعمرين المختلفة :

السلطنة الفرنسية — إعلان من حضرة الامبراطور سلطان الفرنسيين إلى جميع المسلمين في المملكة الجزائرية : إن الدولة الفرنسية لما وضعت قدمها في وطن الجزائر منذ ٣٥ سنة لم يكن مرادها تزيق شمل سكان الوطن المذكور ، بل المراد خلاصه من الظلم المترادف عليه منذ أحقاب . وقد جاءتكم بحكم أعدل وأبلغ رشداً مما كانت عليه القوانين التركية التي خلفناها . ومع ذلك فإنكم في السنين الأولى من الاستيلاء وقع لكم قلق واضطراب لرؤيتكم أمة أجنبية تتصرف فيكم ، فلذلك قاتلتم من خلصكم من الظلم . ومعاذ الله أن نظن أن ما صدر منكم يومئذ كان ذنباً يوجب اللام ، بل نجل ما جبلتم عليه من الخصال الحربية التي حملتكم على رفع السلاح في وجوهنا ، وأنتم منتظرون قبل الإذعان انا إجراء حكم الله .

ولكن قد نفذ حكمه بما أراد فليس إلا الرضا بما قدرته الحكمة الإلهية التي تبلغ المرء إلى الخير في الغالب وتضطره أحياناً إلى عدم نيل مراده وخيبة قصده وعكس اجتهاده .

ومثل ما وقع بكم حل بأسلافنا منذ عشرين قرناً فقد هجمت عليهم أمة أجنبية ، فلم يخضعوا لها وقابلوها مكافحين ثم هزموا . ومن يومئذ تحولت حالهم إلى أحسن منها ، وهو مبدأ تاريخ رقيهم ، وإن (الغول) أسلافنا لما انهزموا تخلقوا بخلق الرومانيين المنتصرين عليهم . وبالاتصال الدائم ، مع اختلاف فضائلهم وعاداتهم تولدت منهم على مرور الأزمنة هذه الأمة الفرنسية التي وقت الله لها وقتا لتنشر في الدنيا ما ألهمها الله من محاسنها .

ومن يدري ! لعل العرب في يوم آت يجدون مساعدة وعوناً على الاستقلال في بلادهم ، كما كانوا قبل في القرون الماضية مسيطرين على بعض سواحل البحر الأبيض المتوسط ولكن لا يكون ذلك إلا بعد صلاح أحوالهم واختلاطهم بالأمة الفرنسية.

فارضوا أيها العرب بما حكم الله به ، وقد قال تعالى (تؤتي الملك من تشاء) وحيث أقدرني الله على هذا الملك بقدرته ، أريد أن أصرف أموركم بما يؤمن مصالحكم وخيركم ، وقد قررت لكم ملكية الأرض التي كنتم تستغلونها تقريراً قاطعاً مستمراً ، وأجللت مقام كبرائكم مع احترام دينكم ، ورغبتي أن أزيد في رفاهيتكم وأن أشركم في حكم الوطن ، أكثر مما أنتم عليه الآن ، كما أرغب في مساهمتكم في أنواع خيرات التمدن . لكن ذلك مقرون بشرط طاعتكم واحترامكم لمن ينوب عني في الحكم وأخبروا إخوانكم المغرورين بأن استمرار سعيهم بعدم الطاعة سيعود بالخسران عليهم ، فالمليونان من العرب لا يقدرون على معاندة أربعين مليونا من الفرنسيين . وحيث تحققتم بأني سلطان عليكم فاعلموا أني محام لكم ، وأن كل من عاش طائعاً في ظل حكمنا فله حق المساواة ، واذكروا أنكم منتسبون إلينا إذ كنتم منذ عشرة أعوام أحرزتم نصراً مع جنودنا ، ووقف أولادكم إلى جنب أبنائنا في المعارك التي وقعت في القرم وإيطالية والصين والمكسيك ، ولا تنحل الرابطة التي تقع في ساحات الحرب . وقد رأيتم قوتنا وما نفعله بعدونا عند عدوانه ، وما نبذله من مودتنا حين نوده . فاعتمدوا معشر العرب على الدولة الفرنسية لأن شؤونكم وشؤونها متحدة ، ومن يهدي الله فهو المهتد ، كما في القرآن .

انتهى من (جريدة المؤيد) بتاريخ ١٣ أكتوبر ١٩١١ .

سر شؤم الحرب في الإسلام :

وفي حصار العرب لدمشق ولد للبطريق الذي على دمشق ولد فدعا قومه فأكلوا وشربوا وتركوا مواقفهم الحربية ، ولم يعلم سوى خالد فإنه كان لا ينام ولا ينيم ولا تخفى عليه من أمور الروم خافية ، وكان قد اتخذ حبالا كهيئة السلم ، فلما أمسى ذلك اليوم

تهش مع بعض رجاله وقال للجند : إذا سمعتهم تكبيراً على السور فاصعدوا إلينا واقصدوا الباب . فلما وصل مع رجاله إلى السور ألقوا الحبال فصعد عليها الرجال ، وكان المكان الذى صعدوا إليه أحصن موضع بدمشق وأكثره ماء ، ثم استولى على دمشق .

* * *

وفى وقعة أجنادين بعث قائد الروم من يأتيه بأخبار المسلمين ، فلما عاد قال (بالليل رهبان ، وفى النهار فرسان ، ولو سرق ابن ملكهم قطعوه ، ولو زنى رجم ، لإقامة الحق فيهم) فقال القائد إن كنت صدقتنى لبطن الأرض خير من لقاء هؤلاء على ظهرها .

* * *

وفى فتح القادسية ظل رستم قائد الفرس مدة يعرض على قومه مصالحة المسلمين فلم يقبلوا ، فنصب سريره ورتب جنده ، وجعل أمامه الفيلة ، كأن يزدجرد وضع جنداً بين المدائن والقادسية لتأتيه بالأخبار . أما سعد بن أبى وقاص فقد كان به دمامل لا يستطيع الجلوس بسببها ، فاختص قصراً له ثم عبأ الجند وحثهم على القتال . ثم التحم الجيشان ، وارتجز الشعراء ، فاشتد عواء الفيلة وأجفالها ، ثم انكسر الفرس وأسر هرمز من ملوكهم ، ووقعت الصناديق عن الفيلة ، وكانت سبعين فيلا وهلك من عليها ، ثم أعادوها فى ثالث يوم فدمروا أيضاً . ثم هبت ريح قلبت سرير رستم فقام يستظل بظل بغل فضربه هلال بن علقمة فقتله ، وطيف برأسه ، فتفرق الفرس وأخذ العرب رايتهم الكبرى ، وكان عدد قتلى العرب فى هذه الوقعة نحو ثمانية آلاف ، وعدد قتلى الفرس زهاء ثلاثين ألفا . وبسببها سقطت بلاد العراق فى يد العرب حياهم الله .

الطلاق الثلاث بلفظ واحد :

فى ص ٥٧١ من عدد « الرسالة » ٦٧٦ (لقد كان الطلاق الثلاث بلفظ واحد يقع طلقة واحدة فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وخلافة أبى بكر ، وفى صدر خلافة عمر ، ولكن الناس خالفوا ذلك فأوقعوه ثلاثا فأمضاه عمر عليهم عقوبة لهم ، وأخذ الأئمة الأربعة بحكم عمر فى ذلك) ...

وفى سنن البيهقى وعند الطبرانى وغيرهم بأسانيدهم : كانت عائشة بنت الفضل عند الحسن بن على ، فلما بويع بالخلافة هنأته ، فقال الحسن : أتظهرين الشماتة بأمير المؤمنين ، وأنت طالق ثلاثا — ومتعها بعشرة آلاف — ثم قال لولا أنى سمعت جدى رسول الله عليه الصلاة والسلام ، أو سمعت أبى يحدث عن جدى صلى الله عليه وسلم أنه قال : إذا طلق الرجل امرأته ثلاثا عند الأقراء أو طلقها ثلاثا مبهمة لم تحل له حتى تنكح زوجاً غيره ، لراجعتها وإسناده صحيح .

ومن الدليل على وقوع الثلاث بلفظ واحد فى عهد النبى عليه الصلاة والسلام حديث الملاعنة المخرج فى صحيح البخارى ، حيث قال عويمر العجلانى فى مجلس الملاعنة : كذبت عليها إن أمسكتها يا رسول الله ، فطلقها ثلاثا قبل أن يأمره النبى عليه الصلاة والسلام ، ولم يرد فى رواية ما أنه عليه الصلاة والسلام أنكر عليه ذلك ، فدل على وقوع الثلاث مجموعة ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن ليدع الناس يفهمون وقوع الثلاث بلفظ واحد لو لم يكن هذا الفهم صحيحاً . قال ابن حزم : لولا وقوع الثلاث مجموعة لأنكر ذلك عليه . وفهم البخارى أيضاً من هذا الحديث ما فهمته الأمة جمعاء من الوقوع حيث ساق هذا الحديث فى صحيحه فى (باب من أجاز طلاق الثلاث) .

وفى المجموع الفقهى عن زيد بن على عن أبيه عن جده عن على عليهم السلام أن رجلا من قريش طلق امرأته مائة تطليقة فأخبر بذلك النبى عليه الصلاة والسلام فقال بانت منه بثلاث وسبع وتسعون معصية فى عنقه . ويعنيه أحاديث فى (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج ٤ ص ٣٣٨) ، ومن حديث ابن عمر قال أرأيت لو طلقتها ثلاثا أكان لى أن أراجعها فقال النبى عليه الصلاة والسلام : لا ، كانت تبين ...

وأما حديث ابن عباس (كان الطلاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة ...) الذى أخرجه مسلم فى صحيحه . فقد رده النقاد لعلل كثيرة ، منها :

١ — مخالفته لمذهب راويه ابن عباس فقد ثبت عنه أنه يرى أن الطلاق الثلاث بلفظ واحد يقع ثلاثا . روى ذلك عنه عطاء